DOI:10.52113/uj05/023-16/76-84 ISSN : 2072-6317(P) - 2572-5440(O)

جامعة المثنى / كلية التربية للعلوم الانسانية
مجلة اوروك للعلوم الانسانية
موقع المجلة : www.muthuruk.mu.edu.iq

الشاه عباس الأول (1571 - 1629م)

نوال زغير عذاب *

كلية الإمام الكاظم للعلوم الإسلامية الجامعة

معلومات المقالة

تاريخ المقالة :

تاريخ الاستلام: 2022/12/18

تاريخ التعديل : ------

قبـول النشـر: 2023/2/23

متوفر على النت: 2023/2/27

الكلمات المفتاحية :

الشاه ، عباس الأول .

الملخص

حَكَمَ الشاه عباس الأول , والمعروف بلقب ((عباس الكبير)) في الفترة من عام [1587 – 1629م] وقد بلغت الدولة الصفوية في عهدهِ أوجّ قوتها وعظمتها ، عندما استطاع السيطرة على الأوضاع الداخلية والخارجية التي تخلّلت فترة حُكمهِ الأولى .

اتخذ من (أصفهان) عاصمةً لهُ ، وأول عمل قام بهِ : طوَّر الجيش والأسلحة النارية الحديثة ، واستعاد جميع الأراضي التي وقعت تحت الاحتلال العثماني والأوزبكي ، وخارجياً تميَّز عهدهُ بالانفتاح لإيران على أوروبا وعقد عِدَّة معاهدات تجارية وسياسية مع الدول الأوروبية ، وسمح للمسيحيين بممارسة شعائرهم الدينية ، وحذَّر المُتشدِّدين من رجال الدين بعدم التعرّض للتجار والأجانب وغالبيتهم من المسيحيين , وأعفاهم من الرسوم الجمركية ، ووافق على بناء الكنائس في أصفهان ، كما طلب من البابا أن يرسل عدداً من القساوسة والرهبان لتوجيه المسيحيين ، حتى ترسَّخ لدى البابا أن الشاه عباس مسيحي العقيدة ، فضلاً عن أنهُ أمر ببناء الدور لسُكنى التجار الأجانب ، ووفَّر لهم الحماية ، وأمر بعدم التعرّض لهم ، وإعطائهم الحرية التامة في التنقل والسكن المريح لهم ، وهذا يدل على مدى التسامح وفهم الشاه للدِّين المسيحي ، وحاجة بلادهِ لبناءِ اقتصادِ دولتهِ وتجارتها ، خاصةً تجارة الحرير الرائجة آنذاك .

©جميع الحقوق محفوظة لدى جامعة المثنى 2023

المقدمـة:

الشاه عباس الأول أو الكبير شخصية سياسية حكمت في فترة ظهور الدولة الصفوية ، وقد حكم في فترةٍ مهمة من حياة الدولة في أول تأسيسها وامتدادها ، وهو خامس شاهات الأسرة الصفوية ، تميَّزت فترة حُكمهِ بالقوة والتسلّط وقدرتهِ على التعامل مع الأمور بحِنكة سياسية وذكاء ومرونة أحياناً عندما تكون لصالحِ بلاده .

أهمية البحث : تكمن في قوة شخصيتهِ السياسية والعسكرية وقدرتهِ في تطوير بلادهِ في المجالات السياسية والاقتصادية والصناعية كافة ، وبروز صناعات مهمة كصناعة السجَّاد والخزف وتطوير الزراعة وعملية الإرواء لتوصيل المياه إلى أبعد نقطة في الجبل بجهودٍ محلية والاعتماد أحياناً على الخبرات الاوربية .

أهم المصادر التي اعتمدها البحث : الكتب العربية والمُعرَّبة وبعض المصادر الإيرانية المترجمة ، مثل كتاب كارلبروكلمان ((تاريخ الشعوب الاسلامية)) ، وكتاب نصر الله فلسفي ، وزندكاني ((شاه عباس الأول)) ، وكتاب عباس الصباغ ((العلاقات العثمانية الصفوية)) ، وكتاب محمد سهيل طقوش ((تاريخ الدولة الصفوية في إيران)) ، وكتاب عبد العزيز نوار ((تاريخ الشعوب الاسلامية)) ، وكتاب بديع محمد جُمعة ((الشاه عباس الكبير)) .**قُسِّمَ البحث إلى :** مقدمة ، ومحورين ، وخاتمة ، وقائمة مصادر .

*الناشر الرئيسي : E-mail : nawalallkhafagy@gmail.com

تضمَّن **المحور الأول** : شخصية الشاه عباس الأول ، مُحاولات الشاه وزوجتهُ من استعادة عباس ميرزا من خراسان ، انفصال إقليم خراسان عن الحكومة المركزية ، تتويج عباس ميرزا بعرش الدولة الصفوية .

تضمَّن **المحور الثاني** : الأوضاع الاقتصادية ، سياسية الشاه لتنشيط التجارة ، الاهتمام بالموانئ ، أنواع الأراضي الزراعية ، مظاهر مُعاملة الشاه عباس الأول للمسيحيين .

المحور الأول :

أولاً - شخصية الشاه عباس الأول :

التعريف بشخصية عباس الأول : هو الشاه عباس ميرزا بن محمد خدا بنده بن طهماسب الأول بن إسماعيل الصفوي مؤسِّس الدولة الصفوية ، ويعتبر الشاه عباس خامس شاهات الأسرة الصفوية ، و أعظمهم شأناً وذلك لسببين هما : إنَّ شخصية الشاه عباس تمتاز بالذكاء والحِكمة والطموح وحُسن التدبير وقدرتهِ على إدارة الدولة وحِنكتهِ بالسياسة الخارجية ، والسبب الثاني ما وصلت إليهِ الدولة من تقدُّم سياسي وعسكري واقتصادي وحضاري ، حكم الدولة للفترة المُمتدة من [1588 – 1629م] [1] .

ولِدَ الشاه عباس ليلة السبت الفاتح من رمضان عام [978هـ - 1571م] في مدينة هراة وكانت تُعد آنذاك مركز خراسان ، نَسَبهُ يمتد إلى صدر الدِّين بن صفي الدِّين الأردبيلي ، وأمهُ هي (مهد عليا) ابنة الأمير عبد الله خان المرعشي وآلي مازندران والذي يمتد نَسَبهُ إلى قوام الدِّين المشهور باسم الأمير الكبير ، ويُعَد عباس الابن الثاني لمحمد خدا بنده [2] من بين أربعة أبناء أكبرهم حمزة ميرزا وثالثهم أبو طالب ميرزا والرابع طهماسب ميرزا [3] .

ثانياً - محاولات الشاه وزوجته من استعادة عباس ميرزا من خراسان :

بِدْءاً يجب أن نعرف انَّ الشاه عباس تولى الحُكم في خراسان وعندما تولى محمد خدا بنده سدَّة الحُكم عام [985هـ - 1578م] ، حاول استعادتهُ من هراة موطن والدتهِ (عليا قليخان) التي رفضت عودتهُ إلى قزوين ، قد تكون هناك فوضى واضطرابات في إقليم خراسان الذي يمثل بوابة الأمن لاستقرار وأمن الدولة الصفوية ، علماً أن هجمات الأوزبك كانت تشكل الخطر الأكبر على إقليم خراسان الذي يضم هراة وما وراء النهر وتركستان [4] .

رفض الوصي (علي قلي خان) أن يرسل ميرزا عباس إلى قزوين فزادت مخاوف الشاه وزوجتهِ (مهد عليا) على مصير ابنهما وصمَّما على استرجاعهِ بشتى الطُرق ، لكن (علي قلي) رفض تسليمهُ وأصرَّ على الاحتفاظِ بهِ في خراسان رغم كل الوساطات التي بُعِثَت إليهِ وحتى والدهُ (سلطان حسين خان) كان الوسيط الثالث ولكنهُ رفض عودتهُ إلى قزوين [5] .

لم يَعُدْ سلطان حسين لمواجهة الشاه بعد رفض ابنهِ وساطتهُ وبقي في هراة ، وأثناء وجودهِ في هراة وصلت أنباء مقتل (مهد عليا) من قبل أمراء القزلباش ، كما قتلوا والدتها وعددٌ من أقاربها وأفراد قبيلتها ، بعد عزلها لـ(علي قلي خان) الذي رفض الخروج من المنصب وبذلك أصبح أمر الشاه غير مُطاع بعد مقتل زوجتهِ التي كانت مسيطرةً عليه [6] .

ثالثاً - انفصال إقليم خراسان عن الحكومة المركزية :

لم تكن الفوضى والاضطرابات في قزوين وحدها بل عمَّت عِدَّة أقاليم سببها سياسة الشاه وتدخل زوجتهِ في الحُكم ، ولكنَّ إقليم خراسان الذي كان يحكمهُ (عباس ميرزا) والوصي عليهِ (علي قلي خان) كان أكثر الأقاليم نزعةً للانفصال ، وكان لهذا عِدَّة أسباب [7] :

1. المحاولات المتعدِّدة للشاه (محمد خدا بنده) وزوجتهُ (مهد عليا) إخراج (عباس ميرزا) من خراسان ليعيش معها في العاصمة قزوين ، وهو الذي لم يحدث ، لرفض (علي قلي خان) إعادة (عباس ميرزا) إلى قزوين مهما كانت العواقب وهو تحدّي للشاه وحكومتهِ [8] .
2. تعيين (مرتضى قلي خان) حاكماً لخراسان ، وخلع (علي قلي خان) من المنصب عقاباً لهُ على رفضهِ أوامر الشاه وما أعقب ذلك من أحداث .

DOI:10.52113/uj05/023-16/76-84

3. إقدام قادة القزلباش في العاصمة قزوين على قتل والدَيْ (علي قلي خان) انتقاماً منهُ ، لعدم انصياعهِ لأوامر الشاه المركزية [9] .

بعد كل هذا التوتر والجفاء والعِداء المُعلَن بين الحكومة المركزية وإقليم خراسان ، أعْلِنَ عن استقلال الإقليم ونصَّبوا عباس ميرزا أميراً عليهم في ربيع الأول عام 989هـ / نيسان 1581م [10] .

وبهذا الانفصال تعرَّضت الدولة إلى الانقسامات وهي الأكبر في تاريخها على المساس بوحدة الدولة ووحدة أراضيها والتهديد الخارجي المتمثل بالدولة العثمانية التي حاولت استغلال الأوضاع غير المستقرة في الدولة ، والخطر الأوزبكي شرقاً [11] .

رابعاً - تتويج عباس ميرزا على عرش الدولة الصفوية :

بعد مقتل ولي العهد (حسن ميرزا) من قبل قادة القزلباش لم تهدأ الأمور بامتناع الشاه (محمد خدا بنده) عن تسمية ولي العهد بل زاد ذلك في انقسام القزلباش ، فريقٌ يؤيد (عباس ميرزا) لولايةِ العهد وفريقٌ آخر يؤيد (أبا طالب) المُقيم في قزوين [12] . وأعْلِنَت الثورة من قبل طائفتا (شاملو واستاجلو) المناصرتان لعباس شاه في قاشان وأصفهان وفارس وامتدَّت إلى أغلب طوائف تركمان وتكلو بفعل أحقِّيتهِ بولايةِ العهد بعد مقتل (حمزة ميرزا) ، زحف الجميع نحو قزوين ودخلوها يوم 10 ذي الحجة عام 996هـ / 31 تشرين الأول 1588م من دونِ أي مقاومةٍ تذكر [13] .

أعلن حاكمها الولاء لعباس شاه وتم عقد اجتماع في القصر الملكي ، بحضور الشاه (محمد خدا بنده) الذي خلع نفسهُ لصالح ابنهِ عباس ووضع التاج على رأسهِ وبذلك انتهت فترة حُكمهِ المليئة بالمآسي والحروب الداخلية والخارجية لتدخل الدولة الصفوية مرحلةً جديدة في حُكم الشاه عباس الأول المُلقَّب بعباس الكبير [14] .

لم تكن الظروف مناسبةً عند تسلّمِهِ الحُكم إذ كانت بلادهُ تُعاني من التمزّق بعد محاولات الانفصال سواء من الشرق بإقليم خراسان ، أو الغرب من بلاد العراق العجمي ، وتسلّط القزلباش الذين صاروا يتحكمون في كل شؤون البلاد الكبيرة والصغيرة ، كما شهدت بروز دور الأميرات في البلاط الصفوي وتدخلهم في شؤون الحُكم [15] .

خامساً : سياسية عباس شاه الداخلية :

ما أن تولى الشاه عباس الأول عرش الدولة الصفوية حتى وضع نصب عينيهِ ضرورة العودة بالبلاد إلى سابق مجدها واستقرارها كما كانت في عهد الشاه (إسماعيل الصفوي الأول) والشاه (طهماسب الأول) ، خصوصاً بعدما شارفت الدولة على النهاية بكل مكوناتها ، حيث وصفها المؤرّخون بأنها شارفت على الانهيار لولا وصول الشاه سدَّة الحُكم ، لذى وجَّه الشاه عباس سياستهُ الداخلية في اتجاهين : **الأول** / ضرورة الانفراد بالحُكم ، **والثاني** / القضاء على الفِتَن الداخلية [16] .

1. الانفراد بالحُكم :

كان الشاه يسعى للانفراد بالحُكم خاصةً بعد رصد تسلّط قادة القزلباش الذين استغلوا تلك الأوضاع ، فأخذوا يفرضون هيمنتهم ويتحكمون في كل شؤون الدولة ، ويُسيّرونها وِفْقَ مصالحهم الشخصية ، بل صاروا يُسيّرون الشاه ، وقد عانى ما عاناهُ في احتجازهِ في خراسان قهراً [17] .

وبسبب الوصاية التي فُرضَت عليه قهراً من قبل (مرشد قلي خان) الذي صار وصياً عليه ، لذلك كان على الشاه أن يتخلّص من تلك الوصاية باستعمال (مرشد قلي خان) بالقضاء على قادة القزلباش ، ومن ثم القضاء عليهِ شخصياً ، وبذلك ليتحقق للشاه ما يصبو إليهِ [18] .

كما حاول الشاه التخلّص من وصاية (مُرشد قلي خان) بعد بلوغهِ سن الثامنة عشر من عُمره ، عندما لاحظ استمرار (مُرشد قلي خان) في التحكم والتسلّط عليهِ في إدارة الدولة [19] .

2. القضاء على الفِتَن الداخلية واستعادة الأمن :

أ- القضاء على التمرّد بإقليم فارس : بعد أن تُوّجَ (عباس ميرزا) على العرش أصدر أمرهُ بتولي (يعقوب خان ذي القدر) حُكم

DOI:10.52113/uj05/023-16/76-84

إقليم فارس ، لأنهُ كان من الرجال الذين يثق بهم ، لكنَّ الحاكم الجديد لفارس أغرتهُ السُلطة وانقلب في سلوكهِ وتصرّفاتهِ فعَمِلَ على زيادة رُقعة نفوذهِ ، فضمَّ إلى حُكمهِ مناطق يزد وكرمان دون موافقة الشاه [20] .

أمام هذا الخطر الداخلي قرَّر الشاه القضاء على هذهِ الفِتنة فتقدَّم بجيشهِ نحو أصفهان ووصلها ، وأرسل يُفاوض (يعقوب خان) ويحثُّهُ على إلقاء السلام بتجنّب الصِدام العسكري ، لكنَّ يعقوب رفض إلا بعد أن يُقسِمَ الشاه بالصَّفحِ عنهُ [21] ، وتم لهُ ذلك ، وبعد ثلاثة أيام طلب منهُ المثول أمامهُ في البلاط وانقضَّ رجال الشاه عليهِ وقيَّدوهُ وقتلوهُ ، وطلب من أسرة يعقوب المثول في البلاط وتقديم فروض الطاعة والصفح عنهُ وفعلاً تم ذلك ، إلا أنَّ الشاه أمر رجال بلاطهِ بقتلهم والتخلّص منهم وبذلك قضى على أول الفِتَن في إقليم فارس [22] .

ب- <u>القضاء على التمرّد باقليم جيلان :</u> أوكل الشاه حُكم منطقة جيلان في عهد الشاه طهماسب الأول إلى (خان أحمد) ، وقد سعى للاستقلال عن الحكومة المركزية ، لكنَّ الشاه تفطَّن لمخطَّطاتهِ وألقى القبض عليهِ ووضعهُ في السجن ، وبعد تولي (محمد خدا بنده) الحُكم أفرج عنهُ وأعادهُ إلى السلطة وزوَّجهُ أختهُ (مريم سلطان بيكم) أملاً في أنَّ هذهِ المُصاهرة تُحافظ على مكانتهِ داخل الأسرة الصفوية لكنهُ استمر بتوسيع دائرة نفوذِهِ حتى أصبح مستقلاً عن الدولة ، إلى أن تولى الشاه عباس الحُكم فعزم على اخضاع جيلان ، لكنَّ (أحمد خان) لم يُغيّر من سلوكهِ وأصبحت جيلان ملاذاً آمناً لقادة القزلباش الفارّين من سطوة الشاه [23] .

المحور الثاني

أولاً - الأوضاع الاقتصادية :

تُعَد فترة حُكم الشاه عباس من الفترات المهمَّة في اقتصاد الدولة الصفوية ، حيث ارتفعت عائدات وموارد الدولة الأمر الذي انعكس على مجال العُمران وازدهار النشاط التجاري داخلياً وخارجياً [24] .

ورغبة الشاه في تطوير الصناعات المحلية وأيضاً سياستهُ الرَّحيمة مع الفلاحين وتشجيعهم لرفع الانتاج عن طريق تعويضهم عن الخسائر إذا ما تعرَّض انتاجهم للتلف [25] .

1. **موارد الخزينة :** حيث كانت مُتدنّية عندما تولى الشاه عباس سدَّة الحُكم نتيجة الفوضى التي عمَّت ربوع البلاد والتي شجَّعت حُكام الأقاليم على التمرّد وعدم دفع مخصَّصات الدولة المالية وتأخر النشاط الاقتصادي بصفةٍ عامة مثل التجارة والصناعة والزراعة ، وعندما تولى الشاه عباس ، أول ما عمل هو استتباب الأمن وتوفير البيئة الملائمة لمُمارسة كل النشاطات الاقتصادية للدولة ، مما أدى إلى ارتفاع مداخيل ميزانية الدولة الصفوية حتى وصلت إلى ألف ومائتي تومان يومية [26] .

2. **الضرائب :** وتشمل :

- **ضريبة انتاج وتجارة التبغ :** نتيجةً لاشتهار إيران بزراعة التبغ فقد كانت تجارتهُ رابحة وتَدُر مبالغ كبيرة على الدولة ، ولكن تدخل رجال الدِّين بعد ضغط الشركات الأجنبية لاستثمارهِ أدى إلى إصدار فتوى بتحريمهِ خوفاً على صِحَّة الناس ، ولكن انعكس هذا سلباً على ميزانية الدولة لأن الشركات ألزمت الدولة بدفع الرسوم التي دفعتها الشركات للدولة مِمَّا أدى إلى تراجع الشاه عن قراره [27] .

<u>سياسة الشاه لتنشيط التجارة :</u>

ارتكزت سياسة الشاه على عِدَّة عوامل وإجراءات استطاع بفضلها الوصول إلى الأهداف التي رسمها وأهمها :

1. حُسن مُعاملة التجَّار الأجانب والذي بموجبهِ أصدر الشاه عِدَّة أوامر وقوانين توصي بحماية التجَّار الأجانب والسَّماحِ لهم بالتنقل بكل حُرية في البلاد [28] .
2. السَّماح للتُّجار غير المسلمين بمُمارسة طقوسهم الدينية وعدم إلزامهم بمُراعاة العادات والتقاليد الإسلامية [29] .
3. إنشاء الطُرق وبناء النُّزل وتوفير وسائل الراحة : حيث اهتم الشاه بتعبيد الطُرق ومنها طريق مازندران الساحلي الرابط بين

DOI:10.52113/uj05/023-16/76-84

مناطق الخزر الشرقية بالغربية ، وأنشأ نُزُلاً لمبيتِ التجَّار الأجانب ، و وفَّرَ كل ما يحتاجهُ الزوَّار المسافرين من طعام وجياد وغيرها [30] .

4. توفير الأمن والسلامة للتجَّار : حيث شدَّد على القُوَّات العسكرية المكلفة بحمايةِ النُّزلاء الأجانب وتأمين الحمايةِ لهم ضد قُطَّاع الطُرق [31] .

5. التشديد على علماء الشيعة بعدم التعرّض لهؤلاء التجَّار : كان الشاه يعلم أنَّ بعض العلماء من رجال الدِّين لا يُحبّون تصرفات التجَّار الوافدين إلى البلاد ، لذا شدَّد وحذّر من التعرّضِ لهم [32] .

6. حرص الشاه على عقد الاتفاقيات التجارية مع البلدان الخارجية : فقد كان الشاه في كل جولاتِهِ في البلدان الأوروبية يحرص على عقد الاتفاقيات التجارية أكثر من مُجرَّد عقد الاتفاقيات السياسية والعسكرية ، لا بل كان يُبادلهم البعثات التجارية كما حدث في بعثة انتوني وشيرلي [33] .

7. الاهتمام بالموانئ : حيث اهتم الشاه عباس بالموانئ التي تطل على سواحل الخليج العربي ، فقام ببناء بندر عباس ليحل محل ميناء كمبرون والذي تراجعت أهميتهُ التجارية بعد طرد القوات البرتغالية ، وازدهر الميناء بعد اهتمام التجَّار الأجانب ببناءِ دورٍ تجارية لهم هناك ، مثل شركة الهند الشرقية - الهولندية ، وشركة الهند الشرقية - الانكليزية [34] .

8. العُملات المستعملة في المُبادلات التجارية : وكانت نوعان ، **النوع الأول / العُملة الذهبية** : واستعمالها يقتصر على المناسبات المُهمة وخاصةً عيد النيروز وعيد ميلاد الشاه ، وكانوا أصحاب هذهِ العُملة يحتفظون بها كتذكارٍ أكثر من استعمالها في المُبادلات التجارية [35] .

أما **النوع الثاني** فهو **العُملة الفضية** وكانت تُستعمل في جميع المُبادلات التجارية ، خاصةً التجارة الداخلية ، وتتكوَّن من عِدَّة وحدات أشهرها الوحدة الأساسية وتُسمَّى ((عبَّاسي)) ، ويُعادل العبَّاسي مئتي دينار ، وتتفرَّع منهُ الوحدات الأخرى ((كنيم عبَّاسي)) ، وهي نصف عبَّاسي أي يُعادل مئة دينار ، ثم ((شاهي)) وهو رُبع عبَّاسي ، ونصف ((نيم عبَّاسي)) أي يُعادل خمسين ديناراً ، يُضاف إلى ذلك الوحدات ((بيستي)) وهو ثُمن عبَّاسي ، و ((خمسة نيم عبَّاسي)) أي يُعادل عشرين ديناراً [36] .

9. تجارة الحرير : فقد احتلت تجارة الحرير المرتبة الأولى في الصادرات الإيرانية حيث كانت نوعيتهُ من أجود الأنواع على مستوى العالم ، وهذا ما جعل تجارة الحرير الإيراني تلقى رواجاً كبيراً خارج إيران ، خاصةً في الدول الأوروبية التي كانت تتهافت عليهِ وتتنافس لوصولهِ إلى الأسواق الأوروبية ، وقد احتكر الشاه تجارة الحرير لنفسهِ وبدأ تصديرهُ عبر الموانئ الخليجية لرغبتهِ في عدم دفع رسوم العبور للدولة العثمانية [37] .

10. طُرق التجارة للدولة الصفوية :

الطريق الأول / وهو طريق التجاري القديم الذي أنعشهُ الإنكليز بعد دخول شركة الهند الشرقية - الهولندية إلى منطقة الخليج العربي واستيلائها على جزيرة خرج ، مما دعا الإنكليز بالاتفاق مع الدولة العثمانية لإحياء الطريق القديم وهو طريق الحرير عبر العراق وبلاد الشام ثم إلى الموانئ الأوروبية [38] .

الطريق الثاني : والذي تمر عبرهُ القوافل براً إلى ميناء هرمز ، في جنوب الخليج العربي ، ثم تُحْمَل من الميناء عبر السُّفن الأوروبية ، باتجاه الهند شرقاً أو الدول الأوروبية غرباً [39] .

الطريق الثالث : وهو طريق بري بأكملِهِ حيث تمر فيهِ القوافل من الأراضي الإيرانية إلى الأراضي الروسية ، ومنها إلى عواصم الدول الأوربية [40] .

ثانياً - الميدان الصناعي :

شَهِدَ المجال الصناعي كغيرهِ من المجالات الأخرى التي لاقت اهتمام الشاه وإشرافِهِ بنفسهِ على تدريب العُمَّال وفتح مصانع ومعامل لشتَّى الحِرَف والمِهَن ، واستدعائِهِ الحِرَفيّن والفنيّن من خارج إيران ، فظهرت أضخم صناعة في عهدِهِ وهي صناعة الأسلحة وصناعة النسيج والخزف والزجاج ، وصناعة السجَّاد ، والصناعات النحاسية [41] .

DOI:10.52113/uj05/023-16/76-84

وقد شاهدتُ هذهِ الصناعات في متحفٍ في مازندران يُبيّن التطوّر الصناعي الذي وصلت إليهِ إيران بعهده .

ثالثاً - الميدان الزراعي :

وكان من أهم الأعمال والنشاطات التي يشتغل بها عامة الشعب مقارنةً مع باقي القطاعات الأخرى ، كالتجارة ، والصناعة ، وكان المُزارع الإيراني في عهد الشاه يعيش حياةً رغيدة تفوق بكثير نظرائهُ في أوروبا ، رغم إنهُ لا يملك الأرض التي يزرعها بحُكم النظام الذي فرضهُ الشاه لاستصلاح وزراعة الأراضي والتي كانت تخضع لنظام يُقسِم الأراضي الزراعية تلك إلى أربعةِ أقسام [42] .

أنواع الأراضي الزراعية:

1. الأراضي الخاصَّة بالشاه : وهي الأراضي التي تتبع مِلكية الشاه الخاصَّة ولهُ حق التصرّف بها لِمَن يُريد من أفراد حاشيتهِ أو كبار قوَّادهِ وغيرهم وحسب رغبتهِ الشخصية [43] .
2. أراضي الولايات والأقاليم : ويضم هذا النوع من الأراضي أراضي الولايات والأقاليم ويُشرف على استصلاحها وتوزيعها الولاة وحُكام الأقاليم ، حيث يقومون بتوزيعها على الراغبين من رعيَّتهم وأتباعهم ، وتمثِّل هذهِ الأراضي القسم الأكبر من أراضي الدولة الصالحة للزراعة ولطالما يستفيد منها القِسْم الأكبر من المزارعين [44] .
3. أراضي الأوقاف الخيرية : وهي الأراضي التي يوقفها مالكها أو صاحبها لصالح الأعمال الخيرية ، كتوفير تمويل للمؤسسات الدينية أو الأماكن المقدسة وغيرها ، وقد يكون الواقف الشاه نفسهُ أو أحدٌ من رعاياه [45] .
4. أراضي عامة الشعب : وهي الأراضي التي كان الشاه يمنحها للمزارعين على شكل إيجارٍ رمزي لمدة تسعة وتسعين عاماً ، وبعد انتهاء الإيجار تعود إلى حاكم الإقليم ، والذي بدورهِ يُعيد إيجارها لنفس المُستأجر أو إلى مُستأجرٍ آخر ، ولا يمثِّل هذا النوع إلا نسبةً قليلة من أراضي البلاد الصالحة للزراعة [46] .

الإنتاج الزراعي :

كان الإنتاج الزراعي وفير ، وهذا يدل على خِصْبة الأراضي وكثرة العاملين من الإيرانيين بهذا المجال ، وكانت تدر عليهم أرباحاً طائلة ، كما شكلت كثرة وتنوّع المواد الزراعية المُنْتَجَة عامل جَذبٍ لهؤلاء المُزارعين ، وأهم المُنتجات كانت : زراعة التبغ ، الخُضَر ، الفواكه كالعنب والمشمش المنتشر زراعتهُ في أنحاء تبريز ويُصَدَّر إلى الشام ، إضافةً إلى مُمارسة الرَّعي وتربية المواشي وتربية دودة القز التي اشتهرت بها إيران آنذاك ، وكان للمُزارعين في عهد الشاه حقوقاً عن طريق النقابات التي أسِّسَت لهم ، ومساعدة الشاه للمُزارعين الذين تجور عليهم الأيام نتيجة تلف المحاصيل في الحروب أو الكوارث الطبيعية ، مما نتج عنه ، أصبح الفلاح لا يخاف من أي طارئ قد يعصف بمجهوده [47] .

مظاهر مُعاملة الشاه عباس الأول للمسيحيين :

1. تغاضى الشاه عباس الأول عن نشاط المبشّرين المسيحيين داخل الأراضي الإيرانية ، ورغم تحفّظ ، بل ورفض العديد من القوى لهُ في البلاد ، إلا أنَّ الشاه كان لهُ رأيٌ مُخالف بأنَّ مصلحة الدولة في تركهم ينشطون بكل حُرية [48] .
2. أصدر الشاه أوامرهُ لجميع حُكامِهِ ولكل المُتشدِّدين من رجال الدِّين الشيعة بعدم التعرّض للتجَّار المسيحيين وتركهم يمارسون طقوسهم الدينية وفق عاداتهم وكأنهم في بلدانهم وذلك من وجهة نظرهِ أن يُساهم في ازدهار التجارة وزيادة عدد الوافدين من الأجانب إلى إيران [49] .
3. إنشاءهُ لجيشٍ اعتمد فيهِ على العنصر المسيحي لحمايتهِ شخصياً بعد أن تصدّى لعناصر القزلباش والقضاء عليهم وهذا إن دَلَّ على شيء يدل على ثقتهِ المُطلقة في العنصر المسيحي حتى يبلغوا هذهِ المكانة في الدولة [50] .
4. نقلهُ لستين ألف مسيحي من ارمينيا لحمايتهم من خطر الدولة العثمانية التي اجتاحت قواتها منطقة أذربيجان عام 1604م ، فقرَّر الشاه عباس نقلهم إلى منطقة آمنة في عمق الأراضي الإيرانية ، وأنزلهم بمنطقةٍ خاصَّةٍ بهم بجوار العاصمة

DOI:10.52113/uj05/023-16/76-84

أصفهان وأطلق عليها اسم (حلقا) والتي وفَّرَ لهم فيها كل مقوِّمات الحياة وبنى لهم فيها كنيسة كبيرة حتى لا يحسوا بالغُربة فيها ، وحَصَرَ الإقامة فيها فقط للنصارى ، وأصبحت (حلقا) قُطباً مسيحياً نشطةٍ في قلب الأراضي الإيرانية [51] .

5. أرسل العديد من البعثات الدبلوماسية إلى أوروبا مُحمّلاً رُسلهُ رغبتهُ في عقد تحالفاتٍ مع هذهِ الدول في المجالين العسكري والتجاري على حدٍ سواء بهدف توطيد العلاقات الثنائية ، ومثالٌ على ذلك بعثة أنتوني شيرلي إلى أوروبا عام 1601م [52] .

الخاتمة

حياة الشاه عباس الأول [1588 – 1629م] ، مليئة بكل الدروس والعِبَر في تاريخ الدولة الصفوية ، وهذهِ وجدتها البداية وليس الخاتمة .

ولِدَ الشاه ليلة السبت عام 1571م في رمضان في مدينة هراة وكانت تُعَد آنذاك مركز خراسان ، ونَسَبَهُ يمتد إلى (صدر الدِّين بن صفي الدِّين الأردبيلي) ، وأمهُ (مهد عليا) ابنة الأمير (عبد الله خان المرعشي) وآلي مازندران ، وضِعَ تحت وصاية (علي قلي خان) وآلي خراسان ، عندما تولى والدهُ (محمد خدا بنده) الحُكم عام 1578م حاول استعادتهُ من هراة لكن الوصي (علي قلي خان) رفض عِدَّة وساطات ، بعدها تم مقتل والدتِهِ (مهد عليا) من قبل أمراء القزلباش ، لم تكم الظروف مناسبةً عند تسلمِهِ الحُكم ، إذ كانت البلاد تُعاني من التمزق والانفصال وتسلّط القزلباش على مفاصل الدولة ولكنهُ جمع كل قِواه للقضاء على القزلباش والتمرّدات الداخلية وتوفير الأمن للبلاد ، من خلال الاهتمام بالجيش والتسليح أولاً ومن ثم الاهتمام باقتصاد الدولة من خلال تشجيع الزراعة ، الصناعة ، التجارة والنهوض بالدولة الصفوية إلى بر الأمان تاركاً وراءهُ إرثاً حضارياً لا يُستهان بهِ شاخصاً إلى يومنا هذا .

الهوامش :

(1) كارلبروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، تعريب بثينة أمين فارس ، ومنير البعلبكي ، ط 5 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1973م ، ص 385 .

(2) **خدا بنده :** هو لقب مركب من كلمتين " خدا تعني بالفارسية الله " ، و " بندا تعني غلام أو عبد " ، وخدا بنده كاملة تعني عبد الله أنظر : ابن بطوطة.

(3) نصر الله فلسفي ، زندكاني ، شاه عباس الأول ، ط 4 ، مطبعة طهران ، 1990م ، ص 3 .

(4) نصر الله فلسفي ، زندكاني ، شاه عباس الأول ، مصدر سابق ، ص 43 .

(5) كارلبروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، مصدر سابق ، ص 502 .

(6) **هراة :** هي مدينة مشهورة عظيمة من أمهات إقليم خراسان تابعةٌ لأفغانستان فيها بساتين كثيرة ومياه غزيرة وخيرات كثيرة ، ومملوءة بالعلماء وأهل الفضل . **أنظر:** ياقوت الحموي ، ص 396 .

(7) نصر الله فلسفي ، زندكاني ، شاه عباس الأول ، مصدر سابق ، ص 92 .

(8) المصدر نفسه ، ص 93 .

(9) شرف خان البدليسي ، شرف نامه ، تحقيق وتعريب محمد علي عوني ، ط ب ، وزارة التربية والتعليم ، القاهرة ، 1958م ، ص 316 .

(10) المصدر نفسه ، ص 317 .

(11) عباس الصباغ ، العلاقات العثمانية الصفوية ، ط 1 ، دار النفائس ، بيروت ، 1999م ، ص 129 .

(12) محمد سهيل طقوش ، تاريخ الدولة الصفوية في إيران ، ط 1 ، دار النفائس ، بيروت ، 2009 ، ص 16 .

(13) المصدر نفسه ، ص 17 .

(14) بديع محمد جمعة ، الشاه عباس الكبير ، ط 1 ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1980م ، ص 7 .

(15) المصدر نفسه ، ص 8 .

(16) عبد العزيز سليمان نوار ، تاريخ الشعوب الإسلامية الأتراك العثمانيون الفرس مُسلمو الهند ، ط 2 ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1937م ، ص 266 .

(17) المصدر نفسه ، ص 267 .

(18) بديع محمد جمعة ، الشاه عباس الكبير ، مصدر سابق ، ص 51 .

(19) محمد سهيل طقوش ، تاريخ الدولة الصفوية في إيران ، مصدر سابق ، ص 128 .

(20) المصدر نفسه ، ص 134 .

(21) المصدر نفسه ، ص 135 .

DOI:10.52113/uj05/023-16/76-84

(22) كارلبروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، مصدر سابق ، ص 503 .

(23) كارلبروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، مصدر سابق ، ص 504 .

(24) بديع محمد جمعة ، الشاه عباس الكبير ، مصدر سابق ، ص 80 .

(25) المصدر نفسه ، ص 81 .

(26) Roemer (H.R) History of Iran , Cambridge, London, Vol 6, P. 254 .

(27) Ibid, P. 255 .

(28) بديع محمد جمعة ، الشاه عباس الكبير ، مصدر سابق ، ص 81 .

(29) محمد سهيل طقوش ، تاريخ الدولة الصفوية في إيران ، مصدر سابق ، ص 141 .

(30) عباس الصباغ ، العلاقات العثمانية الصفوية ، مصدر سابق ، ص 313 .

(31) نصر الله فلسفي ، تاريخ روابط إيران وأوروبا ، در دورة صفوية ، تعريب محمد يوسف فتحي الريس ، ط 1 ، دار الثقافة ، القاهرة ، 1989م ، ص 23 .

(32) المصدر نفسه ، ص 24 .

(33) رولان موسنبيه ، تاريخ الحضارات العام القرنان 16 و 17 الميلادية ، تعريب يوسف أسعد داغر وفريدة م داغر ، عويدات للنشر ، بيروت ، 2003م ، ص 577 .

(34) Sheila Canby, shah Abbas the remaking of Iran, London, 2009, P. 72 .

(35) Ibid, P. 73 .

(36) نصر الله فلسفي ، مصدر سابق ، ص 177 .

(37) المصدر نفسه ، ص 178 .

(38) أحمد عبد الرحيم مصطفى ، أصول التاريخ العثماني ، ط 2 ، دار الشروق ، القاهرة ، 1993م ، ص 151 .

(39) بديع محمد جمعة ، الشاه عباس الكبير ، مصدر سابق ، ص 87 .

(40) محمد سهيل طقوش ، تاريخ الدولة الصفوية في إيران ، مصدر سابق ، ص 144 .

(41) زكي محمد حسن ، الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي ، ب ط ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1940م ، ص 37 .

(42) أحمد عبد الرحيم مصطفى ، المصدر السابق ، ص 152 .

(43) محمد سهيل طقوش ، تاريخ الدولة الصفوية في إيران ، مصدر سابق ، ص 143 .

(44) نصر الله فلسفي ، مصدر سابق ، ص 270 .

(45) سعيد نامي ، المِلْكية الزراعية في إيران منذ العهد الصفوي حتى العهد البهلوي ، ترجمة مركز البحوث والمعلومات ، بغداد ، 1984م ، ص 112 .

(46) المصدر نفسه ، ص 113 .

(47) سعيد نامي ، المِلْكية الزراعية في إيران منذ العهد الصفوي حتى العهد البهلوي ، المصدر السابق ، ص 114 .

(48) نصر الله فلسفي ، مصدر سابق ، ص 188 .

(49) خليل اليالجيك ودونالد كواترت ، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية ، ط 1 ، المدار السلامي ، بيروت ، 2007م ، ص 327 .

(50) المصدر نفسه ، ص 328 .

(51) المصدر نفسه ، ص 329 .

(52) خليل اليالجيك ودونالد كواترت ، المصدر السابق ، ص 328 .

المصادر

1. أحمد عبد الرحيم مصطفى ، أصول التاريخ العثماني ، ط 2 ، دار الشروق ، القاهرة ، 1993م .
2. بديع محمد جمعة ، الشاه عباس الكبير ، ط 1 ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1980م .
3. خليل اليالجيك ودونالد كواترت ، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية ، ط 1 ، المدار السلامي ، بيروت ، 2007م .
4. رولان موسنبيه ، تاريخ الحضارات العام القرنان 16 و 17 الميلادية ، تعريب يوسف أسعد داغر وفريدة م داغر ، عويدات للنشر ، بيروت ، 2003م .
5. زكي محمد حسن ، الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي ، ب ط ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1940م .
6. سعيد نامي ، المِلْكية الزراعية في إيران منذ العهد الصفوي حتى العهد البهلوي ، ترجمة مركز البحوث والمعلومات ، بغداد ، 1984م .
7. شرف خان البدليسي ، شرف نامه ، تحقيق وتعريب محمد علي عوني ، ط ب ، وزارة التربية والتعليم ، القاهرة ، 1958م .

DOI:10.52113/uj05/023-16/76-84

external situations that occurred during his first reign .

He made Isfahan his capital, and the first work he did was: Develop the army and modern firearms, and he regained all the lands that fell under the Ottoman and Uzbek occupation, externally, his reign was marked by Iran's openness to Europe and the conclusion of several commercial and political treaties with European countries, Christians were allowed to practice their religious rites, and he warned the religious hard-liners not to attack the merchants and foreigners, most of whom are Christians, exempt them from customs duties, He agreed to build churches in Isfahan. He also asked the Pope to send a number of priests and monks to guide Christians, until it was established in the Pope that Shah Abbas was a Christian in faith, in addition, he ordered the construction of houses for the residence of foreign merchants, and provided them with protection, he ordered not to harm them, and to give them complete freedom of movement and comfortable accommodation for them.

This indicates the extent of the Shah's tolerance and understanding of the Christian religion, and his country's need to build his state's economy and trade, especially the popular silk trade at the time.

8. عباس الصباغ ، العلاقات العثمانية الصفوية ، ط 1 ، دار النفائس ، بيروت ، 1999م .

9. عبد العزيز سليمان نوار ، تاريخ الشعوب الإسلامية الأتراك العثمانيون الفرس مُسلمو الهند ، ط 2 ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1937م .

10. كارلبروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، تعريب بثينة أمين فارس ، ومنير البعلبكي ، ط 5 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1973م .

11. محمد سهيل طقوش ، تاريخ الدولة الصفوية في إيران ، ط 1 ، دار النفائس ، بيروت ، 2009 .

12. نصر الله فلسفي ، تاريخ روابط إيران وأوروبا ، در دورة صفوية ، تعريب محمد يوسف فتحي الريس ، ط 1 ، دار الثقافة ، القاهرة ، 1989م .

13. نصر الله فلسفي ، زندكاني ، شاه عباس الأول ، ط 4 ، مطبعة طهران ، 1990م .

14. Roemer (H.R) History of Iran , Cambridge, London, Vol 6.

15. Sheila Canby, shah Abbas the remaking of Iran, London, 2009.

Shah Abbas I (1571 - 1629 AD)

Nawal Zghair Adhab

Teaching at Imam Al-Kadhum / College for Islamic Sciences University

Abstract:

The rule of Shah Abbas I, known as “Abbas the Great” for the period from [1587-1629 AD], and during his reign the Safavid state reached the height of its power and greatness, when he was able to control the internal and

DOI:10.52113/uj05/023-16/76-84